

# السخذ أو المشيمة:

## الصديق الأول للإنسان !!

بقلم: د. حسن يوسف حطيطة(\*)

### مقدمة :

يُصاحب الإنسان في رحلته الجنينية، من أولها إلى آخرها، عضوٌ صديقٌ مليئٌ بالأسرار، يحميه ويغذيه ويساعده على تسريع نموه وتقوية أنسجته وخلاياه، ويبقى معه إلى أن يغادر بصحبته ظلمات الرحم إلى عالم النور. يكتنز هذا العضو الكثير من الأسرار التي مازالت تُكتشف شيئاً فشيئاً كما يقوم بالكثير من الوظائف الهامة والضرورية لحياة الجنين وتكامل نموه وخروجه سالمًا معافى إلى الحياة الإنسانية من غير أذى أو ضرر أو تشوهات. ويستطيع المختصون (خاصة العاملون في مجال الأنسجة والخلايا) عبر فحصهم لهذا العضو، بعد خروجه إلى النور، معرفة الكثير من التفاصيل المحيطة بحياة الجنين وصحته المستقبلية وإمكانية تعرُّضه للأمراض والاضطرابات في أجهزته المختلفة (وبالأخص الجهاز العصبي).

### السخذ في الموروثات الشعبية والثقافية :

لم يعرف الإنسان عضواً كالسخذ أو المشيمة أحاطته الحضارات المختلفة عبر التاريخ بهالات من الاهتمام والاستغراب والتعجب وبادرت الثقافات المتنوعة عبر العصور إلى التركيز عليه بشدة وغرابة بالفيتين. وقد أُلقِ بهذا العضو العجيب الذي يشترك فيه الإنسان مع أغلب الثدييات من عالم الحيوان بالكثير من القدرات الأسطورية والمفاعيل الخيالية وأُحيط بالكثير من الموروثات الشعبية التي نسبت إليه آثاراً سحرية وغير منطقية تتناول الوليد نفسه وأمه وأبيه وعائلته ومحيطه ومستقبله!!.

تعددت نظرة الشعوب والحضارات والثقافات تجاه السخذ أو المشيمة وتراوحت ما بين التقديس والإجلال والتبجيل والإقدام على أكل قطع من هذا العضو للتبرُّك أو لأغراض أخرى فمن الحضارات من كانت تعتقد أن هذا العضو هو الأخ الأكبر للمولود أو توأمه الميت أو أحد أطرافه أو أقربائه!. ومن الشعوب من كان يعتقد بوجود آثار سحرية للسخذ أو بالقدرة على التنبؤ بأحداث المستقبل عبره كما قامت الشعوب في بعض الحضارات والثقافات على حَضِّ رجالها على دفن المشيمة لجلب سلطانٍ ما على الزوجة أو الذرية أو مستقبل العائلة. أما في بعض الثقافات فقد كان السخذ وما زال مصدرًا لبثِّ الوثائم والحب والخسوبة الدائمة في العائلة كما استندت بعض المدارس العقائدية والدينية الحديثة على ما عرف عند الحيوانات الثديية من أكل قطع من المشيمة من قِبَل الأنثى المولدة حديثاً لسنِّ عادات غريبة منها أكل الوالد لقطعة من المشيمة النازلة من الرحم لجعل العلاقة قوية بين الأب والمولود الجديد، وهذا ما تفاجأت به الأوساط العالمية عندما قرأت وسمعت ما سجلته وأوردته وسائل الإعلام المرئي والمسموع حول قيام الممثل الأمريكي توم كروز المنتمي إلى ما يعرف بالكنيسة العلمية أو المذهب العلمي بفعل ذلك والتصريح به والاعتراف به على الملأ!.

### السخذ في العلم والطب:

السخذ هو عضو قرصي الشكل يصل وزنه عند الولادة إلى حوالي النصف كيلوغرام كما يصل حجمه إلى حوالي ٢٢ سنتيمتر طولاً و٢-٥ سنتيمتر سماكةً ويتميز بلونه الأحمر الداكن المائل إلى الزرقة الداكنة. للسخذ أو المشيمة وظائف عديدة ومعقدة أهمها تسهيل تبادل المواد بين أجهزة دوران

الأم والجنين خلال الحمل وهو ينمو بشكل متواصل وتدرجي ويتألف بشكل أساسي من الأنسجة الجنينية ومن بعض الأنسجة المشتقة من الرحم (وهي ما يُعرف في علم الأنسجة الجنينية بالساقط القاعدي). يتصل السغد بالجنين عبر الحبل السري الذي يحتوي على شريانين ووريد واحد وبطول يتراوح ما بين ٥٥ إلى ٦٠ سنتمترًا. تتكوّن مادة السغد بشكل رئيسي من زغابات مشيمية مختلفة الأحجام وتتغمس إحدى جهات السغد في الجدار الرحمي، بينما تقابل الجهة الأخرى تجويف السلى الذي يحوي الجنين. ينفصل السغد، بعد الولادة، من جدار الرحم ليُطرح مع الأغشية المجاورة لتجويف السلى. يقوم السغد أو المشيمة، بالإضافة إلى نقل المواد الغذائية للجنين، بإفراز الكثير من الهرمونات والمواد الهامة والحيوية لاستكمال عملية تشكّل الجنين وتسهيل ولادته الطبيعية من دون أضرار أو اضطرابات كالبروجسترون واللاكتوجين المشيمي والإستروجين والبرولاكتين والبيتا - ه.س.ج. وغيرها من الهرمونات والمواد الأساسية في استكمال عملية الحمل ونمو الجنين الطبيعي. ويقوم السغد أيضاً بإفراز مادة النيروكينين - ب - المسؤولة عن تفادي ومنع «رفض» الجهاز المناعي لجسم الأم للمشيمة وأنسجتها.

تكمّن أهمية السغد العلمية في أنه يمكن أن يكون، إذا ما أُجريت عليه الفحوصات النسيجية المتخصصة، مرآة ناصعة وواضحة للكثير مما يكون قد اعترض أو يعترض الجنين أو المولود الجديد من اضطرابات أو تشوهات أو أمراض. يمكن التأكد من ذلك عبر إجراء فحص أولي بالعين المجردة لمعايير مختلفة في شكل وحجم ووزن وهيئة السغد وتشكيلاته الخارجية كالأغشية والحبل السري وإجراء فحص دقيق عن طريق المجهر لأنسجة السغد وأغشيته وخلاياه لاكتشاف أو استكشاف وجود أمراض وراثية أو التهابات أو تغيرات خلوية حميدة أو خبيثة أو اضطرابات في أجهزته وخاصة جهازه العصبي.

تطورت الدراسات التشخيصية النسيجية في عصرنا الحالي وبلغت حدوداً لم تكن في الحسبان من قبل، كأخذ عيّنة من نسيج السغد قبل الولادة بل حتى في المراحل الأولى لتشكّل الجنين وبرزت أبحاث متخصصة في هذا الشأن تناولت إمكانية الوقاية من الأمراض الوراثية المستعصية وإمكانية علاجها قبل ولادة الجنين وإمكانية استشراف المستقبل الصحي للمولود والتخطيط لحمايته من الأمراض المتوقعة عبر رصد التغيرات الوراثية-الجينية. تكاثرت الدراسات أيضاً حول إمكانية اللجوء لفحوصات السغد النسيجية لاستعمالها من قِبَل المحامين والقضاة والأطباء الشرعيين في الحالات القانونية خاصة عند ادّعاء أهل المولود (المصاب بعاهة أو تشوّه أو بمرض وراثي ما) على طبيب التوليد بالتقصير أو الإهمال وذلك للدفاع عنه من قِبَل محاميه والتحقُّق من نتائج فحوصات السغد من قِبَل الأطباء الشرعيين والقضاة.

(\* إستشاري أمراض الأنسجة والخلايا ورئيس شعبة أمراض الخلايا في مستشفى دبي، هيئة الصحة، حكومة دبي.